جحا والسلطان

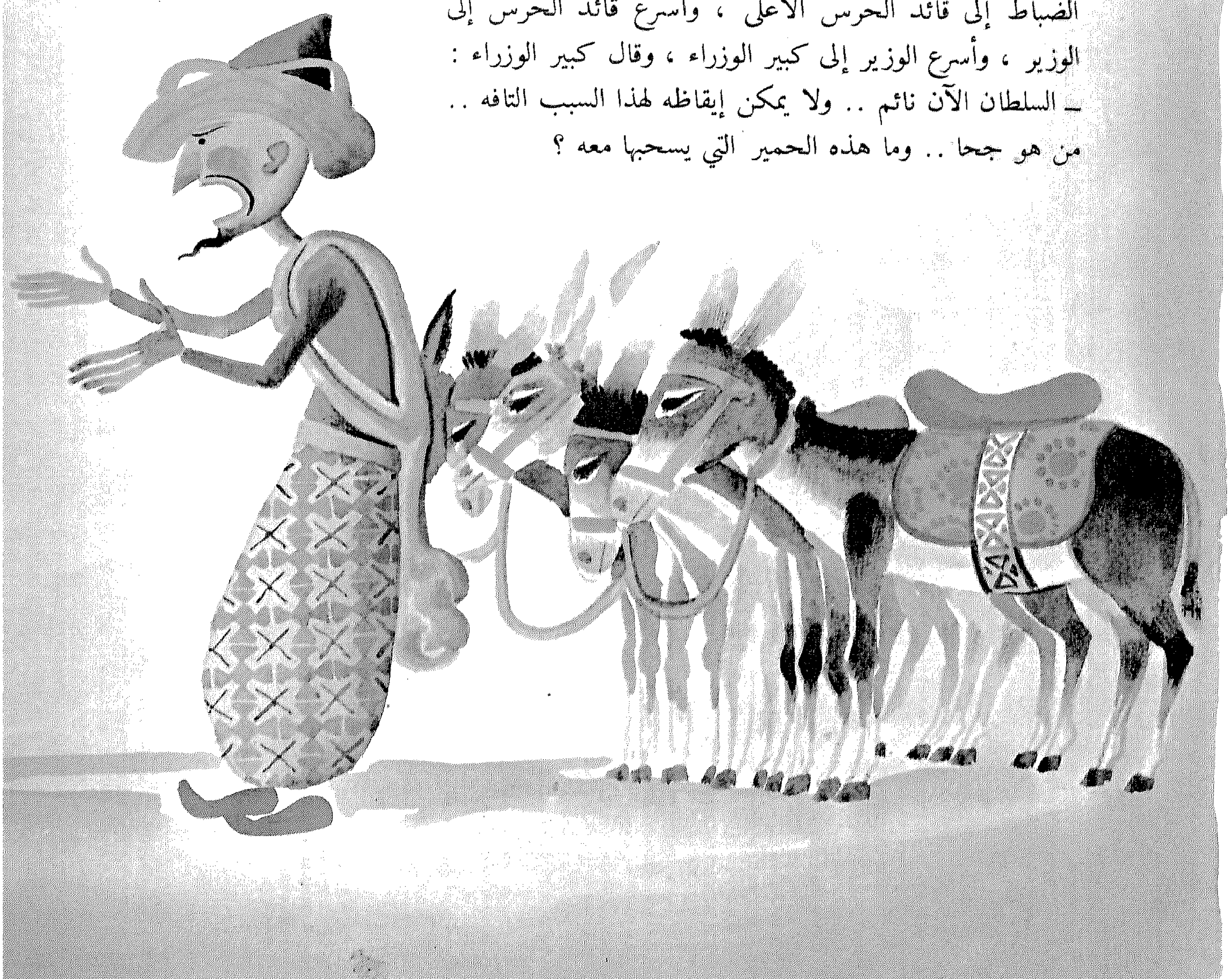
بقلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين



بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥ - برقيا: داشروق - تلكس ٢٠١٧٥ SHOROK
بيروت : ماراليـاس - شارع سـيدة صيدنايا - بناية صفـا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقيا: داشروق - تلكس ٢٠١٧٥٤٤
SHOROK - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ت: ٣٩٢٩٣٢٣ / ٣٩٣٤٥٧٨
فاكس ٣٩٢٤٨١٤ - تلكس ٩٢٠٩١ SHROK UN
٨ شارع سيبويه المصري - مدينة نصر - ت: ٢٦٢٣٣٩٨
٢٦٢٣٥٤٨ - فاكس ٦١٧٥٦٧

وصل جحا وهو يسير وسط حميره الخمسة إلى باب معسكر السلطان .
أوقفه الجند على الباب وسألوه : من أنت يا هذا وإلى أين تذهب ؟
قال جحا : أيها الحمقى .. ألا تعرفون جحا ؟ حكيم الحمقى وأحمق الحكماء ..
قال له الجند : ماذا تريد ؟
قال جحا : أريد رؤية تيمورلنك .. أنا آخر من بقي من علماء المملكة التي تحتلونها ..
سأله الحرس : ما هذه الحمير التي تسحبها معك ؟
قال جحا : هؤلاء كانوا حرساً للسلطان السابق ، ثم انسخطوا حميراً كما ترون .
ذهب واحد من الحرس وأخبر الضابط أن هناك مخلوقاً يسمى جحا ، معه خمسة حمير ويريد لقاء السلطان . وحمل الضابط الخبر إلى كبير الضباط ، وأسرع كبير الضباط إلى قائد الحرس الأعلى ، وأسرع قائد الحرس إلى الوزير ، وأسرع الوزير إلى كبير الوزراء ، وقال كبير الوزراء :
ـ السلطان الآن نائم .. ولا يمكن إيقاظه لهذا السبب التافه ..
من هو جحا .. وما هذه الحمير التي يسحبها معه ؟



قال المسؤول : يقول إنه آخر من بقي من علماء المملكة ..
قال كبير الوزراء : آه .. هو آخر من بقي من علماء المملكة .. هذا يعني أن تيمورلنك سيقتله بعد امتحانه .. عظيم جداً .. أكرموه وقدموا إليه الطعام ولينتظر حتى يصحو تيمورلنك .. وعليه ألا يستعجل يقظة السلطان ، لأن عنقه بخير طالما السلطان نائم .
ذهب الخبر إلى جحا أن السلطان نائم ولا يمكن إيقاظه .



قال جحا ثائراً : ما هذا .. السلطان نائم والقاضي نائم والشرطي نائم .. هذه بلاد نام فيها من كان ينبغي أن يسهر ، وسهر من كان ينبغي أن ينام ... أنا مشغول وليس عندي وقت أضيعه في انتظار يقظة السلطان ..

عاد الخبر إلى كبير الوزراء أن جحا مشغول وليس عنده وقت يضيعه في انتظار السلطان .

قال كبير الوزراء : هذا رجل مجنون بالقطع .. قولوا له إن رقبته ستقطع إذا لم ينتظر السلطان .

ذهب الضابط إلى جحا وقال له : يقول لك الوزير الأكبر أن عليك أن تنتظر السلطان .. وهو يهددك بقطع رقبتك إذا لم تنتظر .

تحسس جحا رقبته وأدرك أن صاحب الخان قد صدقه القول ، أدرك أنه هلك بدخوله بقدميه إلى عرين الأسد ، وقرر ان يهرب ، فقال للضابط :

ـ لا بأس .. سوف أذهب الآن وأعود غداً إلى السلطان عندما يستيقظ .

قال الضابط : أين تذهب ؟؟ لا تتحرك من مكانك .. انتظر حتى يستيقظ مولاي السلطان ، قاهر البرين وقاهر البحرين ، تيمورلنك ..

قال جحا : لقد ضاع جحا بين قاهر البرين وقاهر البحرين .

قال الضابط : ماذا قلت ؟

قال جحا : قلت لا حول ولا قوة إلا بالله ..

جلس جحا في مكانه صامتاً هادئاً ، وراح الخوف يلعب به كما تلعب الرياح بورقة جافة من أوراق الأشجار ..

ومرت لحظات قصيرة ، ثم بدأت حمير جحا تنهق ، كان حمار رئيس القضاة يتزعم بقية الحمير فيما يبدو ، وكان هذا الحمار جائعاً ، فبدأ ينهق .. وبوصفه زعيماً للحمير . قلدته البقية وراحت تنهق وراءه .. كان نهيقها منكراً .. وعالياً .. فاستيقظ تيمورلنك فزعاً من نومه ، واستمع قليلاً لهذا الصوت الذي أزعجه فلم يعرف صوت من يكون ، واستل سيفه وخرج يبحث عن مصدر الصوت .

وفوجئ جحا أن تيمورلنك يقف أمامه غاضباً ثائراً وسيفه في يده ..

وكاد جحا يموت من الخوف .. نظر إلى تيمورلنك ولم يعرف ماذا يقول ..

سأل تيمورلنك بصوت كهزيم الرعد : ما هذا الشيء الذي أيقظني من النوم ؟

قال جحا : هذه حمير اختارتها حمير المملكة .. وقد جاءت تهتف لك وتعرب عن إعجابها بك ، وولائها لك . وبسبب كونهم حميراً لم يعرفوا أن جلالتك نائم ، ولهذا نهقوا وأيقظوك .

هدأ تيمورلنك وسأل جحا : من أنت ؟
قال جحا : أنا جحا .. خوجه نصر الدين .. مقهور البرين والبحرين ، أحمق من في البرين والبحرين ، يواجه قاهر البرين والبحرين .
سأل تيمورلنك : ماذا تعمل .. وأي شيء تريد ؟
قال جحا : أنا أشتغل عالماً .. أنا كل من بقي من العلماء في المملكة .. ولكنني عالم في الحمق .. ولست أعرف أي شيء أريد .. لم أكد أرى وجه جلالة السلطان حتى أغمي على عقلي .. تذكرت .. أنت الذي يريدني لا أنا ..
قال تيمورلنك : أنا أريدك ؟!
قال جحا : نعم .. ألا تطلب علماء المملكة ؟
سأل تيمورلنك : آه .. أنت إذن من علماء المملكة ؟
قال جحا : آخر من بقي منهم .
قال تيمورلنك : ما بال هذه الحمير ؟
رد جحا : هذه آخر سلالة بقيت من علماء الحمير .. فإذا ذبحتني فاذبحهم معي لكي لا يركبهم بعدي أحد .. ولا يتمتع بهم غيري .
قال تيمورلنك : لماذا تظن أنني سأقتلك ؟



قال جحا : قلبي يحدثني بأنك قاتلي ..
قال تيمورلنك : يبدو أن قلبك على حق .. في أي برج ولدت يا جحا ؟
أدرك جحا أن امتحانه قد بدأ ، وتصبب العرق الغزير على وجهه وقال لتيمورلنك :
ـ ولدت في برج التيس ..
سأل تيمورلنك مندهشاً : برج التيس ؟ ليس هناك برج يحمل هذا الاسم .. هناك برج الجدي .. هل تقصد برج الجدي ؟
قال جحا : ولدت في برج الجدي ، ولكن هذا حدث منذ أربعين سنة ، ولا شك أن الجدي قد تحول فيهم إلى تيس .. إن أربعين سنة ليست مسافة بسيطة .
في هذه اللحظة ، عادت الحمير إلى النهيق ، وراح صوتها المنكر العالي يتردد في القصر ..
قال جحا للحمير : اسكتوا عليكم اللعنة .. صحيح أنكم حمير .. لقد هدأ السلطان فلماذا تهيجونه ؟
سأل تيمورلنك : ماذا تقول للحمير يا جحا ؟





قال جحا : إنني أشكرهم ..
سأل تيمورلنك : لماذا تشكرهم ؟
قال جحا : على تحيتهم للسلطان .. إنهم يقولون «عاش السلطان» ، فقلت لهم شكراً أيها الحمير .
سأل تيمورلنك : ماذا قالت الحمير غير ذلك ؟ لقد نهقت أكثر من مرة .
قال جحا : تقول الحمير إن السلطان لو وضع سيفه في غمده لكان هذا أدعى إلى الأمن والأمان ..
ضحك السلطان وسأل جحا : هل تعرف لغة الحيوان ؟
قال جحا : تخصصت في لغة الحمير فقط .
قال السلطان : كم لغة تعرف أيها العالم المضحك ؟
قال جحا : أعرف ثلاث لغات .. لغة البشر ولغة الحمير ولغة الصمت .
قال السلطان : متى تحب أن نعقد لك الامتحان ؟
سأل جحا مندهشاً : ألم ينتهِ السلطان من امتحانه بعد ؟
ضحك السلطان وهو يقول : أتظن الامتحان سهلاً بهذه الدرجة ؟ نحن لم نبدأ امتحانك بعد .. غداً بعد العصر نبدأ الأسئلة .. انصرف الآن إلى غرفة الضيوف .
قال جحا :
ـ كم صنفاً زار الغرفة قبل إعدامه ؟
قال السلطان : زارها الجميع يا جحا .
قال جحا : إنا لله وإنا إليه راجعون ..
انصرف جحا إلى غرفة الضيوف ، فقدموا إليه الطعام ، ولكنه اكتشف أن شهيته للطعام قد ضاعت ، وراح يفكر في امتحان السلطان ويقول لنفسه : ضاع جحا أخيراً في شربة ماء ..
وشرب قليلاً من الماء ونام مهموماً حزيناً ، فشاهد في الحلم أن السلطان قرر قتله ، فاستيقظ مفزوعاً ..



وظل طيلة الليلة يقظاً يفكر في الفخ الذي وضع نفسه فيه حين قبل أن يأخذ خمسة حمير مقابل حياته ..
وجاء اليوم الثاني فجلس جحا ينظر لطعام الافطار وهو لا يستطيع أن يلمسه أو يذوقه .
ثم استدعاه السلطان في الصباح ، ودهش لأن موعد امتحانه بعد العصر ..
وقال جحا في نفسه : إن السلطان قرر قتله قبل العصر ، وهذا أفضل من عذاب الانتظار .
كان السلطان منشرحاً هذا الصباح على غير عادته ، ولم يكد جحا يصل حتى قال له السلطان : كيف حالك يا جحا ؟
قال جحا : على أسوأ حال تكون عليه حال جحا .
قال السلطان : اسمع يا جحا .. هل أنا عادل أم ظالم ؟



أدرك جحا أن الامتحان قد بدأ .. وقال للسلطان :
ـ أنت لست عادلاً ولست ظالماً يا مولاي السلطان .
قال السلطان : كيف ؟
قال جحا : ألا تسألني لماذا أولاً ؟
قال السلطان : لماذا ؟
قال جحا : لقد قتلت الذين قالوا إنك عادل ، وقتلت الذين قالوا إنك ظالم ..
قال السلطان : نعم ..
قال جحا : قد أجبتك عن سؤالك «لماذا» وبقي أن أجيبك على «كيف» انك لست عادلاً ولست ظالماً .
قال السلطان : نعم ..
قال جحا : نحن الظالمون .. وأنت سيف العدل الذي سلطه الله علينا بسبب ظلمنا .. وهكذا لا يقال إنك ظالم ولا يقال إنك عادل .. أنت سيف في يد القدر ، والسيف لا يوصف بالعدل ولا بالظلم .
قال السلطان : لقد أعجبتني إجابتك على السؤال الأول .. استمع الآن إلى السؤال الثاني .. ما هو الشيء الذي تستطيع أن تفعله أنت ولا أستطيع أن أفعله أنا ؟
قال جحا : النوم في حظيرة للخنازير ..
ضحك السلطان وقال إليك السؤال الثالث : من أنت ومن أنا ؟
قال جحا : أنتم الكبار ونحن الصغار ..
قال السلطان : هل تستطيع أن تخبرني كم أساوي من المال ؟
قال جحا : لا أظنك تساوي أقل من ألف دينار .
ضحك تيمورلنك حتى استلقى على ظهره وقال : أيها الحمار .. إن ملابسي وحدها تساوي ألف دينار ..
قال جحا : صدق ظني .. ما كنت أنظر في تقدير ثمنك إلا لهذه الملابس .
قال تيمورلنك : أين تظن أن مقامي سيكون في الآخرة ؟
قال جحا : مع الملوك الذين خلدوا أسماءهم في التاريخ ..
سأل تيمورلنك : مثل مَن من الملوك يا جحا ؟
قال جحا : مثل فرعون موسى .. والملك الذي عاش في عصر ابراهيم .
قال تيمورلنك : هل تعلم يا جحا أن خلفاء بني العباس كان لكل منهم لقب اختص به ؟ فمنهم «الموفق بالله» .. ومنهم «المتوكل على الله» .. ومنهم «المعتصم بالله» ..



لو كنت أنا واحداً منهم فماذا كان يجب أن أختار من هذه الألقاب ؟

قال جحا : دعك من هذه الألقاب فهي قديمة .. لا شك أنك كنت تدعى بلقب «العياذ بالله» .

وقف السلطان وهو يضحك وقال : أنت تشتم يا جحا .. ستقطع رقبتك بسبب هذه الكلمة .

قال جحا : إن السلطان يذكرني بحكاية الأسد والفأر ..

قال السلطان : ما هي حكاية الأسد والفأر ؟

قال جحا : يحكى أنه في قديم الزمان وسالف العصر والأوان عاش أسد عظيم في غابة وعاش معه فأر ..

وكان الفأر يحسد الأسد على عظمته وهيبته ، فذهب إليه الفأر يوماً وشتم الأسد وتحداه وقال له : تعال قاتلني إذا كنت أسداً بحق .

قال السلطان : ماذا فعل الأسد؟

قال جحا : ضحك طويلاً ورفض أن يقاتل الفأر ..

قال السلطان : لماذا رفض الأسد أن يقاتل الفأر ؟

قال جحا : كان الأسد حكيماً ، قال لنفسه ..

لو حاربت الفأر هبطت بمستواي ، ولو قتلته فلا شرف في قتله ، وظل الأسد يضحك من شتائم الفأر حتى وقع الفأر ميتاً من الغيظ ..

ضحك السلطان طويلاً وقال لجحا .. انتهى امتحانك الشفوي وبقي الامتحان التحريري .. ثم زعق تيمورلنك على حرسه أن يحضروا السهام والرماح ..

أيقن جحا أن نهايته قد دنت ..

أحضر الجند السهام والرماح وأوقفوا جحا أمام حائط .. وأمروه أن يرفع ذراعيه إلى جواره .. ووقف جحا كما لو كان مصلوباً وبدأ الامتحان .

أمسك تيمورلنك بالسهام ووضع سهمه في القوس وصوب نحو عمامة جحا وأطلق السهم ..



اخترق السهم عمامة جحا وثبتها في الحائط ..

ضحك جحا حين أصاب السهم عمامته وقال لنفسه : الحمد لله انه لم يدخل في رأسي .

عاد تيمورلنك يصوب سهماً ثانياً إلى ذراع جحا ، وكان تصويبه من الدقة بحيث اخترق السهم ملابس جحا ، ولم يصب جحا بسوء ..

وعاد جحا يضحك لأن السهم لم يخترق ذراعه ..

وصوب تيمورلنك على كم قميصه الثاني وثبته في الحائط .. وضحك جحا سعيداً لأنه نجا ..

بعد ذلك بدأ تيمورلنك يصوب الحراب نحو جحا ، وكان تصويبه من الدقة

بحيث أن جحا لم يصب في جسده ، ولكن ملابسه كلها أصبحت مثبتة في الحائط من السهام والحراب ..

ظل جحا يضحك ، فسأله السلطان : لماذا تضحك ؟

قال جحا : إن السلطان معجب بي ، والدليل أنه يعلقني على الحائط مثل صورة أعجبته ..

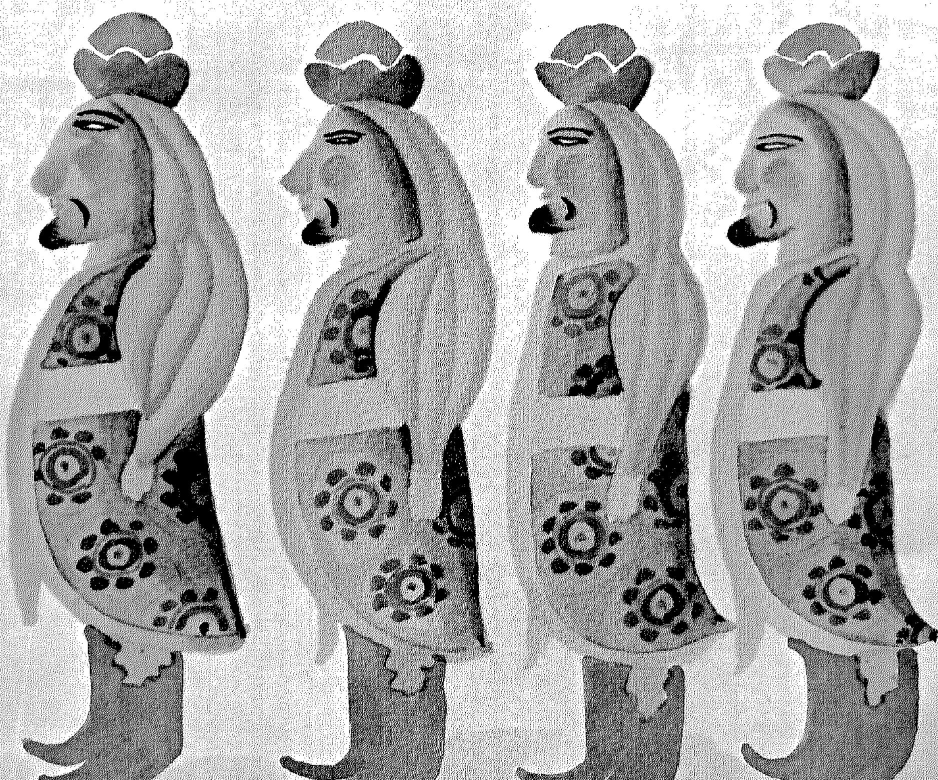
قال السلطان : لقد نجح جحا في امتحانه التحريري وأثبت أنه شجاع . كان يضحك في وجه السهام .. إنني آمر أن يعطى جحا جبة وقفطاناً وعمامة بدل ما خرقته السهام ..

قال جحا : أرجو أن يأمر السلطان بصرف ملابس داخلية وسراويل ..

قال السلطان : لكن سراويلك لم تصب بضرر ! !

قال جحا : هذا صحيح .. ولكنها ابتلت وأخشى أن يصيبني البرد ..

ضحك السلطان وأمر لجحا بما أراده وقرر أن يستبقيه معه ليكون نديماً يتحدث معه وسميراً يسهر الليالي وهو يحدثه .. وأخبر السلطان جحا بما انتواه ..





قال جحا : جاءك الموت يا تارك الصلاة ..
قال السلطان : لماذا تقول ذلك يا جحا .. ؟
قال جحا : لأني أخاف أن يغضب عليَّ السلطان يوماً فيقتلني ؟
قال السلطان : لا تخف .. إنني أعطيك الأمان ..
قال جحا : الآن اطمأننت .. وفي مقابل ذلك سأطلع السلطان على شيء مدهش .. سأقوم بتعليم واحد من حميري الخمسة كيف يقرأ .. ولن يستغرق هذا غير عشرة أيام .





مطابع الشروق

بيروت: مار الياس - شارع ستيدة صيدنايا - بناية صفا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقيا: داشروق - تلكس LE ٢٠١٧٥ SHOROK - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ . ٣٠٧٩٨٤